النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر

أ.م.د. عبير سهام مهدي(*)

المقدمة:

في حقب عده من تاريخ التواجد الإنساني، استمد الإنسان معاييره من مرجعيات تتمايز عن ذاته ، فأما كانت الطبيعة اللاواعية مقياسا، أو كانت تتمثل في الأوهام الماكثة خارج حدود الطبيعة ، أو موجودات واهية حظيت بالتعظيم، وهكذا تمثلت الإشكاليات المعيارية في إن تلك المعايير لم تكن متوافقة والإنسان، الكائن المنسوج من الطبيعة من جهة، والقادر الواعي على الإدراك والإحاطة والتغير من جهة أخرى، ذات الإنسان المنسوجة من الوعي واللاوعي– تطورت بحكم الطبيعة– هي التي تشكل منذ أول الوجود الإنساني النور المنبثق على الوجود مبدداً ظلامه ، والإدراك الوحيد للوجود والاحتمالية الوحيدة للسيطرة عليه، لذا وان لم تكن الكينونة الإنسانية تمثل مركز الطبيعة، فأنها أهم منشأتها، ومركز الوجود الحيوي وعقله المفكر.

وعليه تبلور مفهوم مركزية الإنسان بالنسبة للإنسان والإعلاء من شأنه وعده قيمه أعلى من الوجود ، هذا الإدراك الوجودي هو ما يسمى بـ (النزعة الإنسانية)، وتعد النزعة الإنسانية هنا احد أهم التيارات التي ظهرت في الفكر السياسي الغربي الحديث، إذ تعد هذه النزعة من أهم الحركات الفكرية والتربوية التي توجت عصر النهضة الأوربي وفجرت ينابيعه الفكرية والأوربية .

وعلى الرغم من إن النزعة الإنسانية شكلت في عصرها ثورة فكرية شاملة على المنظومات الفكرية التقليدية التي كانت سائدة في العصر الوسيط لاسيما في القرنين الخامس والسادس عشر إذ قدمت بأنساقها الفكرية رؤية جديدة حول طبيعة الإنسان وجوهره إلا أنها تعرضت إلى أزمة في القرن العشرين عصفت بجميع المقولات التي تعبر عنها وتستند إليها.

(*)جامعة بغداد– كلية العلوم السياسية.

ومن هنا انطلقت فرضية بحثنا الموسوم بـ(النزعة الإنسانية في الفكر الغربي المعاصر) من إن الطروحات المعاصرة جاءت لتختزل الإنسان كجزء من الطبيعة/المادة، وبما إن الإنسان ككل لا يتجزأ فان نفي بعض المكونات هو في نهاية الأمر موت لهذا الكائن الذي يسمى الإنسان.

وللبرهنة على فرضية البحث نطرح التساؤلات الآتية :

١. ما لمقصود بالنزعة الإنسانية ؟ .
٢. ما هي أهم المبادئ التي استندت عليها النزعة الإنسانية ؟ .
٣. ما هي ابرز الأفكار التي استندت عليها النزعة الإنسانية في عصر النهضة؟ و ما هي ابرز ملامح التحول الجديدة للنظرة إلى الإنسان ؟ .
٤. ما هي ابرز الأفكار التي استندت عليها النزعة الإنسانية في عصر التنوير؟ .
٥. ماهي أهم الانتقادات التي وجهت إلى النزعة الإنسانية في الفكر الغربي المعاصر ؟ ومن هم ابرز من مثل هذا الاتجاه ؟ وما هي أهم المبررات التي استندوا عليها في نقدهم للنزعة الإنسانية ؟.

وفي ضوء التساؤلات التي تم طرحها في فرضية البحث فقد تم تقسيم الموضوع إلى أربعة مباحث، فضلا عن المقدمة والخاتمة، تناولنا في المبحث الأول : إطار نظري لمفهوم النزعة الإنسانية، إما المبحث الثاني: فقد ناقش الأسس الفكرية للنزعة الإنسانية، إما المبحث الثالث: فقد كرس لمناقشة النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي الحديث وذلك في مطلبين تناول المطلب الأول: النزعة الإنسانية في عصر النهضة،إما المطلب الثاني فقد تناول:النزعة الإنسانية في عصر التنوير إما المبحث الرابع والأخير، فقد تناولنا فيه الطروحات الفكرية للنزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر وذلك ضمن أربعة مطالب ، تناول المطلب الأول :النزعة الإنسانية عن جاك لاكان، وناقش المطلب الثاني:النزعة الإنسانية عند ليفي شتراوس، وكرس المطلب الثالث لمناقشة النزعة الإنسانية عند ميشيل فوكو، إما المطلب الرابع والأخير فقد انتظم تحت عنوان:النزعة الإنسانية عند لويس التوسير، وأخيرا جاءت الخاتمة مدونين فيها الاستنتاجات الرئيسة.

المبحث الأول : إطار نظري لمفهوم النزعة الإنسانية

تنوعت معاني مصطلح الإنسانية وهذا ما جعل المصطلح غامضا، وتشير البدايات الأولى لنشأة هذا المصطلح إلى إن أول من استخدمه هو المؤرخ الألماني وعالم اللغة (جورج فويت) في العام ١٨٥٦ وذلك لوصف الحركة التي ازدهرت لإحياء التعليم الكلاسيكي إثناء فترة عصر النهضة وذلك من اجل إحياء التعاليم الكلاسيكية في النهضة الايطالية [١]. وكلمة إنساني (Humanist) مشتقة من المصطلح الايطالي (umonista) في القرن الخامس عشر وتعني: المعلم أو الباحث العلمي في الأدب اليوناني، ثم من خلال الثورة الفرنسية وبعدها بقليل في ألمانيا بفضل (الهيجليين اليساريين) بدأ مصطلح الإنسانية يشير إلى الفلسفات والأخلاق التي ترتبط بالإنسان ذو الاهتمام بأية مفاهيم إلهية، ومع بداية الحركة الأخلاقية في ثلاثينات القرن العشرين أصبح مصطلح (الإنسانية) مرتبطا بنحو متزايد مع الفلسفة الطبيعية ومع العلمانية[٢].

إذن نشأ مصطلح الإنسانية لوصف المناهج الدراسية الكلاسيكية التي تقدمها المدارس الألمانية، وكذلك لوصف النهضة الإنسانية التي ازدهرت في النهضة الايطالية لإحياء التعليم الكلاسيكي[٣].

وجذور هذا المصطلح إي (humanism) تعود إلى اليونان من خلال عبارة أو لفظة معينة هي (paelia enkiklio) وتشير تلك اللفظة إلى (التعليم المتوازن) وفكرة التعليم لدى اليونان تشير إلى نسق المعارف الإنسانية المتمثلة في الفنون الحرة السبعة: القواعد اللغوية، البلاغة، المنطق، علم الإعداد، الفلك، التجانس الصوتي، كذلك تنطوي عبارة التعليم على فكرة إن الطبيعة الشخصية الإنسانية يمكن التأثير في نموها عن طريق التعليم، وقد أخذت فكرة التعليم هذه طريقها إلى الرومان، وكان

---

[١] للاستفاضة ينظر: جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ١٩٨٢، ص ١٥٨ .

[٢] الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا ،٢٠١٥/١٠/١٧: www.wikipedia.com

[٣] بلا مؤلف ، النزعة الإنسانية .. تاريخها وأطوارها ونشأتها ،٢٠١٥/١٠/٢٠: www.ency.kacemb.com

التمكن من فنون الخطابة هو السبيل إلى امتلاك النفوذ والقوة[٤]. ويجب هنا إن نشير إلى ملاحظة مهمة ونحن في سياق تأصيل مصطلح الإنسانية في الثقافة الغربية وهي إن مصطلح الإنسانية أو الانسنة أو النزعة الإنسانية لم يظهر في الثقافة العربية حسب ما تذكره الموسوعات والقواميس المختصة إلا في القرن التاسع عشر وبالتحديد في العام ١٨٠٨ إذ استعملها احد علماء التربية الألمان (f.j.nithommer) وكان يقصد من خلالها الدلالة على نظام تعليمي وتربوي جديد يقترحه ويهدف منه إلى تكوين الناشئة عن طريق الثقافة والآداب القديمة، وبالأخص منها الآداب اللاتينية والإغريقية وذلك لغاية تلقينها مثلا أعلى من السلوك والمعرفة، الذي شأنه إن يعلي من قيمة الإنسان ومكانته[٥].

وعليه نلاحظ إن مفهوم النزعة الإنسانية في ظهوره الأول ارتبط ارتباطا وثيقا بالدعوة إلى إعادة بناء النظم التعليمية والتربوية، والعودة من ناحية أخرى إلى الآداب القديمة التي تقدم المثل الأعلى في السلوك والمعرفة، لكن النزعة الإنسانية لم تبق مقتصرة فقط على هذه الدلالة، بل صارت تحمل معاني أخرى فرضتها حركة التاريخ ومستجدات المعرفة، ففي أواخر القرن التاسع عشر وتحديدا من العام ١٨٧٧ اكتسب المصطلح معنى تاريخي أكثر تحديدا إذ صار علما لذلك التيار الفكري والثقافي العام والشامل والذي تضمن ميادين الفنون والآداب والفلسفة والذي انطلق في البداية من ايطاليا في عصر النهضة ليعم بعد ذلك كثيرا من البلاد الأوربية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر[٦].

وقد عرف اندريه لالاند النزعة الإنسانية في قاموسه بأنها:(مركزية إنسانية متروية، تنطلق من معرفة الإنسان ، وموضوعها تقويم الإنسان وتقيمه واستبعاد كل ما من شانه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال

---

[٤] عاطف احمد ، النزعة الإنسانية ، في دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط ، ط٢ ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٧-١٨.

[٥] عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: هيدجر ،ليفي شيتراوس ، ميشيل فوكو ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٩٢، ص ١٨٩ .

[٦] المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

استعماله استعمالا دونيا، دون الطبيعة البشرية)[٧]. وكذلك تعرف بأنها: تقوم على الاعتراف بان الإنسان هو مصدر المعرفة وان خلاصة يكون بالقوى البشرية وحدها، وهذا اعتقاد يتعارض بشدة مع المسيحية بل يتعارض مع جميع الأديان التي تعتقد في خلاص الإنسان بقدرة الله وحده وبالإيمان[٨]. كما عرفت أيضا بأنها: حركة فكرية تمثل الإنسانية بوصفها فلسفة ، مثلها إنسانيو النهضة (بترارك، بوغيو، لورنت فالا، اراسموس، بوديه، اولريخ دو هوتن)، وهي تتميز بجهود لرفع قيمة الفكر البشري وجعله ذا قيمه، وذلك بوصل الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة مع محاولة لتجاوز العصر الوسيط والمدرسية – وهي حركة يعدها بعضهم أنها إلغاء المسيحية[٩]، ومن وجهة نظر دينية يعد بعضهم النزعة الإنسانية مؤمنة وهي لا تزال تمثل تيارا فلسفيا حتى هذه اللحظة في أوربا يكفي إن نذكر كأمثلة عليها فلاسفة كبار أمثال الألماني (كارل ياسبرز)، والفرنسي (جابريل مارسيل)، والى جانب النزعة الإنسانية المؤمنة يوجد نزعة إنسانية ملحدة والتي مثلها في العصر الحديث (سارتر، وهيدجر) والتي تعني: التمرد على الله من اجل العناية بالإنسان[١٠]. وهكذا أعطت النزعة الإنسانية أهمية كبيرة للإنسان وعقله في التمييز وإدراك وبناء الإحكام المعيارية ومعناه أيضا رفض كل أسبقية دينية أو ميتافيزيقية يمكنها إن تحد من إبداع الإنسان وفعاليته في التاريخ، إي إن النزعة الإنسانية بهذا المعنى قطيعة حاسمة مع كل نظرة لاهوتية قروسطية صادرت كيان الإنسان باسم الإيمان وتمثل في الوقت نفسه تأسيسا لفلسفة جديدة لرؤية جديدة تحل الإنسان محل المركز من الوجود بعد إن كان من الوجود على هامشه[١١].

وهكذا نجد إن للنزعة الإنسانية معان عدة[١٢]:

---

[٧] ينظر: اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة :(خليل احمد خليل) ، ج١ ، ط٢ ، عويدات ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٧٤.

[٨] المصدر نفسه، ج٢ ، ص ص ٥٦٦-٥٦٩.

[٩] المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[١٠] المصدر نفسه، ص ٥٦٩.

[١١] هاشم صالح ، مدخل إلى التنوير الأوربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٧٧ .

[١٢] مصطفى حنفي، النزعة الإنسانية وارث الأنوار، دار إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ، ٢٠١٤ ، ص ٧-١٠.

١–معنى تاريخي: يشير إلى الحركة الفكرية المتمثلة في انسانيّ النهضة : بترارك، اراسموس، وغيوم بادي...

٢–معنى براغماتي : يشير إلى حرية الفكر والإبداع الإنساني والأخلاقي والجمالي لدعم الموقف المثالي في المعرفة والوجود، كما إن هذا المعنى البراغماتي لا يشير فحسب إلى المعنى المعتاد لكلمة براغماتي التي تدل على العمل، بقدر ما تدل على معنى أوسع يمكن إن نؤكده على الشكل التالي: كل معرفة هي مستمدة من الإنسان ومن طبيعته وحاجاته الإنسانية دون إن تكون خارجه عن هذا الإطار .

٣–معنى فلسفي: يحاول هذا المعنى إن يستبعد من مجال اهتمامه الجانب التاريخي ويميل فقط إلى تضمين معنى النزعة الإنسانية بعدا أخلاقيا، تستلهم من فلسفة الأخلاق مقاصدها الإنسانية المتمثلة في معرفة الإنسان وجعله أكثر إنسانية، والمبدأ الذي أسس هذا المعنى هو الاعتقاد في خلاص الإنسان بواسطة القوى الإنسانية لا بواسطة قوى أخرى كما كان الأمر مع المسيحية .

٤–معنى لاهوتي: توظف كلمة الإنسانية هنا للدلالة على العقيدة أو المذهب الذي يؤكد على أهمية طبيعة الإنسان المركبة من الغايات الإنسانية(الفن، العلوم، والأخلاق...)، والغايات الطبيعية، إي طرق التعارض في الإنسان بين الإرادة العليا والإرادة الدنيا .

من خلال ما تقدم نستنتج: بان النزعة الإنسانية تنحصر في تلك الحركة الإنسانية التي أولت اهتماما بالغا بالإنسان وبشؤون الفكر والفن ومحاولة التحرر من كل ما هو قديم، كما أنها صاغت تصورا جديدا عن الإنسان كان فيما بعد الأرضية التي انطلق منها الفلاسفة لتشيد نموذج الإنسان المنشود .

ومن خلال ما تقدم يمكن إن نجمل بعض العناصر والمكونات الأساسية لمفهوم الإنسان كما تشكل في حقل الثقافة الغربية وكما حددته النزعة الإنسانية[١٣]:

*إن للإنسان مكانة متميزة في هذا العالم وفي تطور التاريخ ، وفي تحصيل المعرفة ، وبما انه يملك الإرادة فهو قادر على المبادرة والإبداع .

---

[١٣] عبد الرزاق الدواي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨ .

*التأكيد على أولوية الوعي والإرادة في كل مشروع تأسيسي .
*الانطلاق من الذات لتأسيس الموضوعية .
*الإيمان بان المبادرات البشرية تسهم في صياغة التاريخ، وان التاريخ يحقق نوعا من التقدم نحو الأفضل والأحسن.

المبحث الثاني : الأسس الفكرية للنزعة الإنسانية

انطلقت النزعة الإنسانية من الفكر السياسي اليوناني الذي أنتج جملة فلسفات إنسانية تنطلق من الإيمان بجمال الحياة ووجوب الاستمتاع بها[١٤]. غير إن ذلك لا يعني إغفال تأثير الفكر الروماني إلى جانب تأثير فلسفة كونفوشيوس الذي امن بوظيفة التربية في إعداد الشباب الصالح للاضطلاع بمستقبلهم كرجال دولة، فعنى بطريقة التعلم والتعليم، والذي لازالت تعاليم فلسفته الإنسانية تسري في كيان المعتقدات والتربية الصينية طيلة قرون، وعلى امتداد أجيال متعاقبة ليومنا هذا ذلك إن شعائر ومعتقدات مذهبه نابعة من صميم احترامه للطبيعة الإنسانية وإيمانه بقداستها[١٥].

بالانتقال إلى الفكر السياسي اليوناني نجد إن النزعة الإنسانية قد وجدت في جميع المدارس الفكرية اليونانية إلا إنهم عبروا عنها بإشكال مختلفة من مدرسة إلى أخرى أو كل قد عبر عنها طبقا لفلسفته الخاصة، وتتجلى الإنسانية في الفكر السياسي اليوناني على صعيد التطبيق عن طريق القانون الذي يمثل الحد القاطع لمعاملة المواطنين على أساس إنسانيتهم ويسعى إلى إنشاء أسلوب حكم يسعى لبناء حكومة مدنية تساوي بين إفرادها قانونيا وتعدل بينهم توزيعياً حسب الرأي الأرسطي[١٦].

ربما كان احد أسباب وجود الإنسانية بوضوح في الفكر السياسي اليوناني هو إن الديانات اليونانية لم يكن لها نصوص ثابتة ولا مشرع ولا كتب مقدسة ولا رئيس ديني ولا نظام متفق علية إذ يبين الدين اليوناني طابعه الإغريقي الأصيل بتسامحه الشامل

---

[١٤] ثروت عكاشة ، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية ، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩٠ ، ص ١٨٩.

[١٥] كارل ياسبري ، فلاسفة إنسانيون ، ترجمة :(عادل العوا) ، منشورات عويدات ، بيروت ، د.ت ، ص ١٢٤.

[١٦] ينظر:غانم محمد صالح ، الفكر السياسي القديم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ص٩٠-٩١.

وحريته الوافرة[١٧]. وهذا ما انعكس على الواقع فاهتم الفلاسفة اليونان بالفلسفة الأخلاقية والسياسية، من خلال تأسيس مذاهبهم على اللاعنف، العدالة، والتسامح بوصفها نتائج واقعية للتسامح الشامل والحرية الوافرة التي تقدمها الأديان اليونانية .

بدأت الفلسفة اليونانية مع السفسطائية تدخل طورا جديدا، هو طور الفلسفة الإنسانية، إذ كانت السفسطائية ثورة عنيفة على الفكر الطبيعي السابق عليها ، في الوقت ذاته فلسفة إنسانية خالصة تهتم بدراسة الإنسان ليس بوصفة عقلا جامدا ، بل كإرادة فعالة حرة تسعى إلى تأكيد ذاتها واثبات نجاحها في كافة المجالات العملية[١٨]. ولو تأملنا أراء السفسطائيين لوجدناها إنسانية، إذ يؤول ماجد فخري قول بروتاغورس – زعيم السفسطائيين – إن الإنسان مقياس كل شيء الذي يعني إن الإنسان لا الإلهة ولا العالم الخارجي، هو مدار العمل والنظر المجديين ، فيكون بهذا المعنى رائد الفلسفات الإنسانية التي نقرنها باسم سقراط سابقا وبالوجوديين حديثا[١٩].

لقد ادخل السفسطائيون في الفلسفة اليونانية مشكلة الإنسان وواجبات الإنسان، ودار اهتمام السفسطة بتركيز الاهتمام عليه، بوصفه مركزا لاهتمامهم وحاولوا إن يؤكدوا إن أولوية الحياة الاجتماعية هي بتعليم الفضيلة السياسية، كما تمكنت السفسطة من إعادة النظر في الفلسفات السابقة وحولت اتجاه النظر أو الاهتمام من الميتافيزيقيات والأساطير إلى الإنسان لتغير فلسفة الحياة من خلال تقديم تعليم منظم في وقت لم تعرف فيه اليونان إلا القليل من هذا التعليم[٢٠].

إما الابيقورية فقد كانت صفحة ناصعة من صفحات الفكر اليوناني، إذ كانت صوتا عاليا مناصرا للحرية الإنسانية ومهاجما للأنساق الحتمية التي تنكرها[٢١]، ولو تأملنا رسالة ابيقور– زعيم الابيقورية – إلى الإنسان لوجدناها إنسانية من خلال جعلها للفرد

---

[١٧] س.م.بورا ، التجربة اليونانية ، ترجمة:(احمد سلامة محمد السيد) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٧٦.

[١٨] محمود مراد ، الحرية في الفكر الفلسفي اليوناني ، ٢٠١٥/١٠/٢٦: www.kenanaonline

[١٩] ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص ٥٥.

[٢٠] براتراند راسل ، حكمة الغرب عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي ،ترجمة:(فؤاد زكريا) ،ج١ ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٣، ص ٧٣.

[٢١] محمود مراد ، مصدر سبق ذكره.

قيمه لا بسبب انتمائه إلى عقيدة دينية أو إلى جماعة معينه بل لانتمائه إلى الجنس البشري واتصافه بالصفات الإنسانية، فالابيقورية لم تعترف بالحراك الاجتماعي الذي ساد فلسفة بعض الفلاسفة في العصر اليوناني بل تعاملوا مع الجميع على إنهم متساوون من وجهة نظر إنسانية فلم يميزوا بين إفراد المجتمع حسب أجناسهم أو حسب مهنهم[٢٢].

إما الرواقيون فان الفكرة التي ابتكروها هي فكرة المواطنة العالمية وقد استمدوا هذه الفكرة من مصدرين: إن الكون واحد، وهو منظم بقانون واحد ويشكل نسقا واحدا، فمهما يختلف الناس في الأمور غير الجوهرية فأنهم يشتركون في طبيعتهم الجوهرية وفي عقلهم إذ إنهم مخلوقات عقلية ويجب إن يكونّوا دولة واحدة، لأنهم يشتركون بصفة عامة واحدة بالإمكان إن يحتكم الجميع لها وان تحقق تلك الدول مبادئ مشتركة عقلانية إنسانية، وفي ذلك عبر زينون– زعيم المدرسة الرواقية– قائلا :إن كل البشر إخوة، وعبر عن هذه الإخوة بمصطلح(المدينة الكونية)[٢٣] ، التي يعد فيها الفرد مواطنا لدولة هنا أو هناك وإنما هو مواطن العالم ، أو المواطن العالمي الذي له حقوق في كل مكان لان البشر إخوة ، وهكذا فقد عبرت الرواقية عن إن المواطنة كالإنسانية صفة لا تقبل التفاوت والتفاضل ، وان تخلي الإنسان عن حريته هو تخلي عن صفته بوصفه إنسانا وعن حقوقه الإنسانية [٢٤]، إذ أدرك فلاسفة اليونان ومن ضمنهم الرواقيون أنه لا تقوم دولة إلا بالمواطنة ولا يتوحد مجتمع إلا بالتعايش، وهذا ما تضمنته أفكارهم السياسية من تنظيرات وفلسفات ، لقد كان لفلسفة هذه المدرسة حلم يهدف إلى تحقيق الوحدة الإنسانية من خلال المواطنة الكونية وعلى وفق مبادئ ومشتركات إنسانية عامة، كان لها دورا في الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، هذا من

---

[٢٢] ينظر: بيار بويانسي ، ابيقور ، ترجمة :(بشارة صارجي) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٠، ص ٦٧.

[٢٣] السيد عبد الحميد فوده ، حقوق الإنسان بين النظم القانونية الوضعية والشريعة الإسلامية ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، ٢٠٠٦ ، ص٢٥.

[٢٤] جاد الكريم الجباعي ، في العقد الاجتماعي نحو إعادة التفكير في الحداثة ، مجلة التسامح ، ع(٧) ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنه عمان ، ٢٠٠٤ ، ص ص ١٦١،١٦٣.

جانب، ومن جانب أخر يعد سقراط أول من اهتم بالإنسان ككائن عاقل ، في الفكر اليوناني القديم، ووجهه للبحث في التصورات والماهية والفضيلة، بحثا تأمليا تحليليا، عقليا لذلك فهو مؤسس المذهب العقلاني في الفكر اليوناني، والذي نتلمس فيه بوادر نزعة إنسانية متأصلة سار على نهجها كل من أفلاطون وأرسطو، واستمر أثرها ساريا في روح معظم تيارات الفلسفة الغربية لان سقراط وضع منهجا عقليا ودعا للشك كخطوة أولى للتفكير ، وهو لم يستخدم منهج التحليل العقلي لمعرفة الفضيلة وفهم سلوك الإنسان العملي، وتعريف الشجاعة، والعفة، والعدالة والتقوى، وإنما لكشف مكامن الفطرة الإنسانية[٢٥]، فقد اهتم بميول الطبيعة الإنسانية التي راعاها بمعيار الفضيلة والتمييز بين الخير والشر، والسعي لتهذيب سلوك الإنسان، فإنسانية سقراط تجلت في تركيزه على الإنسان ونيته الصادقة في تربيته وأعانته على السمو الأخلاقي والمعرفي ، ذلك إن سقراط أراد إصلاح المجتمع الإنساني بإصلاح الإنسان الذي لا يمكن إن يحصل إلا برفع المستوى العقلي والأخلاقي لهذا الكائن[٢٦]، فالنزعة الإنسانية عند سقراط ترادف الاعتراف بقدسية الذات البشرية ، واحترام كرامة الإنسان، ومن هنا عُد سقراط مصلحا ومربيا على أنموذج كونفوشيوس.

إما الفكر الأفلاطوني وأكاديميته فقد كان لهما دورا بارز في الإنسانية بوصفها فلسفة فهي فكر أسهم في بناء المعرفة وحاول جاهدا خلق إنسان وجعله ذاتا مفكرة من خلال طرق التعليم التي اتبعها في أكاديميته ، فأفلاطون وفلسفته كان لهما دور في محاولات بناء الفرد اليوناني من خلال تمكينه عقليا بان يكون ذاته ويثق بنفسه ويفكر[٢٧].

بالانتقال إلى الحضارة الرومانية فقد تضمنت العديد من الأفكار الإنسانية كالسلم العالمي وبناء الدولة العالمية والأخذ بقانون الشعوب الذي تضمن أفكارا إنسانية متعلقة

---

[٢٥] يحيى هويدي ، قصة الفلسفة الغربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ص ٢٦-٢٧.

[٢٦] المصدر نفسه ، ص ٢٨.

[٢٧] براتراند رسل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧.

بالسلم العالمي وأفضل من جسد هذا الاهتمام هو (شيشرون): (...يجب إن تكون الحقوق القانونية للمواطنين في الجمهورية الواحدة متساوية)[٢٨].

كما شهدت روما ولادة دينامية جديدة باتساع مفهوم المواطنة ليشمل العامة وبعد ذلك الشعوب الأخرى في الإمبراطورية الرومانية الذين منعوا من المشاركة في الحياة السياسية العامة وقد أعطى الإمبراطور (كاركسلا) في العام(٢١٢م)، وضعا قانونيا للمواطنة بحيث تشمل عددا كبيرا من السكان وان استمر استثناء الطبقات الفقيرة والعبيد والنساء منه وتأسيسا على ذلك فقد كان لـ (شيشرون) الريادة في طرح فكرة القانون والمناداة بالمساواة من بعده وربما تأثرا به بدأ آخرون إلى طرح مبادئ وأفكار تبعث الأمل في تحقيق أدمية الإنسان[٢٩].

ويأتي (بوليب) على رأسهم إذا رأى مالت إلية مركزية السيادة وحقوق الإفراد من فساد وتدهور إلى ضرورة الأخذ بفكرة الدستور المختلط الذي يقوم على أساس توازن وتعادل الطبقات الاجتماعية ، إذ تصبح الحرية حرية الجميع لا حرية الفرد أو الجماعة أو حرية فوضى. وبالاتجاه نفسه ذهب (سينكا) إلى ضرورة مساواة الإفراد جميعهم كونهم إخوة ينتمون إلى دولة واحدة هي الدولة العالمية[٣٠]. من خلال ما تقدم نجد إن الأفكار الانطلاقية الأولى للنزعة الإنسانية موغلة في القدم إذ ترجع إلى فلاسفة وأدباء اليونان والرومان إلى جانب تعاليم كونفوشيوس بعدهم المرجعية المركزية لإنساني عصر النهضة.

المبحث الثالث : النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي الحديث

المطلب الأول:النزعة الإنسانية في الفكر السياسي لعصر النهضة

لا يمكننا فهم الأسس الفكرية للنزعة الإنسانية في الفكر والثقافة والتربية ما لم نقف مليا عند أهم التصورات الفكرية التقليدية التي كانت سائدة في العصر الأوربي الكنسي

---

[٢٨] نقلا عن : حافظ علوان حمادي الدليمي ، قراءة معاصرة لموضوعة حقوق الإنسان ، جامعة السليمانية ، العراق ، ٢٠١٠ ، ص٣٠.

[٢٩] علي عبد المعطي محمد ، الفكر السياسي الغربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨، ص ١٥٥.

[٣٠] جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، ج١، ترجمة :(حسن جلال العروسي) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٢٥٧.

الإقطاعي في العصر الوسيط، إذ فرضت الكنيسة في حينها منظومة فكرية إيديولوجية تعكس إلى حد كبير طبيعة العصر بتكويناته الاجتماعية الطبقية* والسياسية التي تبلورت في وجود نظام إقطاعي يقوم على تحالف عميق وشامل بين الكنيسة، بوصفها أهم مؤسسة فكرية إيديولوجية في العصر الوسيط وبين الإقطاعيين والأباطرة الذين كانوا يضعون مقدرات الإنسان تحت رحمة جشعهم وتسلطهم الذي لا يرحم، وقد تمثلت هذه المنظومة الفكرية الإيديولوجية في ركائز أساسية تضع الإنسان في دائرة من السلبية ترى إن الإنسان محكوم بقدر نهائي محتوم لا يمكن تغيير مساره في رحلته عبر الكون. تلك النظرة التي كانت سائدة في العصر الوسيط حول الإنسان وعلاقته بالكون[٣١].

إن تجاهل الإنسان ومطالبه، وانسداد باب العلم بوجه العلماء، وأيضا إهمال حقوق الإنسان الفردية، كل ذلك ساعد على إثارة غضب الناس على الكنيسة وأساقفتها، بعبارة أخرى كان الإنسان في العصور الوسطى متذبذبا بين مدينه الرب ومدينه الشيطان، حتى أرهقه التهافت في ذلك ، ولم يكن يتسنى لإنسان تلك العصور إقامة علاقة مع ربه إلا بواسطة الأساقفة والقساوسة في الكنيسة وهذا ما شكل انتهاك صارخ لحرية الإنسان واستقلاليته[٣٢]، ونتيجة لهذه الظروف القاسية من تجاهل للإنسان واحتياجاته، كان لابد من ظهور حركة تسترجع الحريات المصادرة، فبدأت الحركة بإصلاح ديني لتصل إلى إنكار كل ما يمت للدين بصلة، فكل ما دنسته الكنيسة وأربابها قد محت

---

* يقسم المجتمع طبقيا في العصور الوسطى إلى:

-الاكليروس ، وهم رجال الدين وأصحاب الوظائف الدينية .

-النبلاء ، وهم أصحاب الوظائف العسكرية .

-الاقنان والحرفيون ، وهم أصحاب الوظائف الإنتاجية .

ينظر : عامر حسن فياض و علي عباس مراد ، مدخل الى الفكر السياسي القديم والوسيط ، ج١ ، بنغازي ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٤٣.

[٣١] بلا مؤلف، بناء الحضارة الغربية: مكونات الحداثة وعناصر النهضة، ٢٠١٥/١١/٢٦: www.nosos.net

[٣٢] المصدر نفسه.

الغبار عنه حركه عرفت باسم (الإنسانية) والمذهب الإنساني، وأعادت إلى الإنسان ماضيه القديم ، بعبارة أخرى زمن (الشرك) واللادين[٣٣].

اتسمت النهضة بالميل العام نحو التغيير والإصلاح في كل الميادين، فعلى المستوى الاجتماعي بدأت ارستقراطية تجارية جديدة ، تنافس ارستقراطيات الكنيسة ونباله الأرض القديمة، وعلى المستوى الديني ظهرت حركة الإصلاح الديني المناهضة للكاثوليكية[٣٤]، ونشأة المثقف البرجوازي لا تنفصل عن هذا العصر ففيه نشأ الإنسان العاقل وتجاوز تمزق وعيه المسيحي بان أوجد الوحدة بإلغاء القول بالتعالي، إي بالقول بعالمين منفصلين دار الدنيا ودار الآخرة[٣٥].

استطاع عصر النهضة من إنتاج فلسفته الخاصة والمسماة بفلسفة النهضة التي انضوت تحت مضامينها فلسفات متعددة منها فلسفة الطبيعة التي تشتمل على العلم، والإيمان بالقوى الخفية والميتافيزيقية، وعلم النفس ويدخل في ذلك نظرية المعرفة والفلسفة الأخلاقية والسياسية[٣٦]، إلا إن الفلسفة التي سادت هي ذات النظرة العلمية العقلانية وهذا ما أسهم في انحسار مد الأفكار الميتافيزيقية التاريخية الرجعية المتوارثة.

إما النزعة الإنسانية فقد شكلت إحدى الفلسفات التي سادت عصر النهضة إذ تمثلت الإنسانية في فكر دانتي الذي كتب بالعامية مقدمه لفلسفة جديدة حاول من خلالها إن يتجاهل اللغة الرسمية[٣٧]، فكانت لفلسفته نظرة إنسانية خاصة عبر عنها في أدبياته من خلال تأكيده إعادة التوليد الديني، إي الحاجة إلى التغيير في القلب وسيلة

---

[٣٣] علي اسعد وطفه، النزعة الإنسانية في التربية:انسنة التربية وتربية الإنسان،٢٠١٥/١١/٢٦: www.anfasse.org

[٣٤] سالم يفوت ، ابيسمولوجيا العلم الحديث ، ط٢ ، دار توبيقال ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٠.

[٣٥] محمد الشيخ ، فلسفة الحداثة في فكر المثقفين الهيغليين الكسندر كوجيف واريكفايل ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٦٧.

[٣٦] تد هوندرتش ، دليل أكسفورد للفلسفة، ج٤، ترجمة :(نجيب الحصادي) ، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا ، ٢٠٠٣، ص ٩٦٢.

[٣٧] دانتي اليغيري ، الكوميديا الإلهية ، ترجمة :(كاظم جهاد) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٥.

لإنقاذ ما يمكن إنقاذه[٣٨]، إي انه حاول إيصال الأفكار إلى العوام من الناس وذلك من خلال مخاطبتهم بلغاتهم العامية بعد إن كانت الكنيسة تستخدم اللغة اللاتينية في تعليمها الديني والعلمي وهذا ما جعل من المجتمعات لا يفقهون شيئا لا في الأمور العلمية فحسب بل في الأمور الدينية أيضا وهذا مما جعل الكنيسة المصدر الأساس للمعرفة سواء أكانت علمية أم دينية، وايراسموس هو أيضا كانت له فلسفه إنسانية حاول من خلالها نقد السلطة القائمة وهو احد الإنسانيين الذين خرجوا عن أسوار الكنيسة في عصر النهضة[٣٩].

وتعد الإنسانية في عصر النهضة عودة للاهتمام بالوجود الإنساني من خلال تعبيرها عن نزوع حاول إن يواجه تيارين سادا عصر النهضة أولهما: التطرف والاقتتال الديني نتيجة حركة الإصلاح الديني، والتيار الثاني: مواجهة التقدم والتصنيع، إذ حاولت الإنسانية إن تجد حلا لمشكلة بارزه تتمثل بالاستغلال وغياب الحرية والعدالة والمساواة [٤٠]، تمثلت الإنسانية في عصر النهضة بالحركة الرومانسية التي كان لها اثر كبير في جميع أوجه النشاط الإنساني من فن وأدب وفلسفه وسياسة، إذ عبرت الإنسانية عن عودة واعية إلى المثل العليا والأنماط الكلاسيكية التي من أهم مآثرها، اكتشاف أراض وشعوب جديدة، وأسهمت هذه الحركة في ظهور طائفة كبيرة من الرحالة والمستكشفين، وفي طليعتهم الأمير هنري الملاح، وكريستوفر كولومبس، وفاسكو دي غاما[٤١]، إذ أدرك فلاسفة الإنسانية في عصر النهضة إن تطور الحضارة يرتبط بقدرة مجتمعات تلك الحضارة على مواجهة العنف الاجتماعي وتجفيف مصادرة [٤٢]، ومن

---

[٣٨] كوينتن سكنر ، أسس الفكر السياسي الحديث في عصر النهضة ، ترجمة:(حيدر حاج إسماعيل)، ج١ ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص٦٣.

[٣٩] جورج بروكمان ، الانسانيون الجدد ، ترجمة :(مصطفى إبراهيم فهمي) ، سلسلة العلوم والتكنولوجيا ، مكتبة الأسرة ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ١٤.

[٤٠] محمد بوجنال، الفلسفة السياسية للحداثة وما بعد الحداثة ، لامط ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ٧.

[٤١] عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، ج٤ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١١٨.

[٤٢] علي اسعد وطفه، التربية على قيم التسامح ، مجلة التسامح ، ع (١١) ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان ، ٢٠٠٥ ، ص ٢١٢.

هنا برزت الإنسانية محاولة للخروج فكريا على الكنيسة التي كانت محرضة على العنف، إذ وصفت الإنسانية بأنها ديانة جديدة حاولت محاربة ما جاء به الاكليروس الكاثوليكي ومحاكم التفتيش من خلال محاولتها إعادة القيمة الحقيقية للفرد في إن يكون ذاته مستقلة عن الكنيسة وهيمنتها الفكرية.

عبرت الإنسانية عن ثوره، ابتدأت بايطاليا تدريجيا لتعم سائر إرجاء أوربا، من خلال تأكيدها إن خير الإنسانية هو العلة الغائية لكل شئ بمعنى إن كل ما موجود إنما هو موجود من اجل الإنسان ومسخر لمصلحته، من خلال تأكيدها الحرية السياسية بوصفها فلسفتها التاريخية والإنسانية إحاطة بالمسالة الفلسفية – الفكرية التي تتعلق بالكائنات البشرية التي تبذل جهدها في سبيل فهم العالم التجريبي مع موارد الفكر البشري[٤٣]. ومما ساعد النزعة الإنسانية على نشر أفكارها اكتشاف المطبعة على يد يوحنا غوتنبرغ وذلك من خلال الدور الكبير في توفير الكتب المطبوعة بتكاليف اقل ، إذ أصبح الكتاب في متناول الجميع بعد إن كان في السابق في يد قله ميسورة بسبب غلاء ثمنه، إما العامل الثاني فهو هجرة علماء بيزنطة بعد سقوط القسطنطينية على يد الأتراك في العام ١٤٥٣ إلى ايطاليا فقام احد إفراد عائلة مديتشي الثرية بتأسيس أكاديمية أفلاطون لتقوم بنشر المؤلفات الفلسفية لأرسطو وسقراط وأفلاطون وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين . فكانت بدايات الاهتمام بآداب وعلوم وفنون الإغريق والرومان وعلى نطاق أوسع من السابق، فكان لكل هذا المجهود إسهاما في تعزيز تأثير النزعة الإنسانية على توجهات عصر النهضة الذي سيعجل من ظهور عصر الأنوار.

فلسفيا دافع فلاسفة النهضة عن الإنسانية بوصفها أساسا للكرامة البشرية والحياة الدينية ، فبدا فكر القرون الوسطى عند الإنسانيين فكرا تحجر في سفسطات لاهوتية ومنطقية ، ومن هنا لم يكن هناك بد من التفكير في إعادة بعث الإنسان مجددا وإخراجه من اطر الفكر القديم[٤٤]. وبدءا بدانتي والكوميديا الإلهية (١٢٦٥–١٣٢١) التي عبر فيها عن إن البشر يكافحون من اجل أهداف متعددة ، وهم يعيشون

---

[٤٣] اندرية لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، ج٢ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦٧.

[٤٤] بيتر كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة ، ترجمة:(جورج كتورة)،ط٢،المكتبة الشرقية،بيروت،٢٠٠٧ ، ص ٩٣.

في روابط متنوعة، لكنهم يحتاجون إلى السلام ليحيوا حياة لائقة مهما كان مستوى تنظيمها ، ولا يمكن إن يقدم الإنسان العون سوى لحكومة واحدة كي يحقق ما تنطوي علية روابطنا الزمنية التكميلية من إمكانات أخلاقية ، الحكومة العالمية التي تطلع إليها دانتي ((يجب إن تكون مفهومه بمعنى أنها تحكم البشرية على أساس ما نشترك فيه جميعا، وإنها تقود الجميع نحو سلام محكوم بقانون عام))[٤٥]، انطلقت الإنسانية هنا من مفاهيم ومشتركات أغفلتها أو تناستها الفلسفات الدينية التي حكمت أوربا وهي عودة واضحة لمبادئ رواقية كونية تستجمع الشتات لتكون ثقافة جديدة .

ومن ثم ظهر بترارك (١٣٠٤-١٣٧٤) الذي يعد زعيم الإنسانيين في أوربا، ومؤسس المذهب الإنساني، الذي أسس للنزعة الإنسانية من خلال مبادرته بالنظر إلى الخلف لمعاينه الأعوام الإلف المنقضية منذ انهيار روما القديمة ورؤية تلك الحقبة الزمنية حقبة مثلت انحطاط للعظمة الإنسانية ذاتها، ومن هنا سارع باحثون كثر مدفوعين بدعوة بترارك إلى الانطلاق بحثا عن مخطوطات القدماء الضائعة وكلما كانوا يوفقون إلى اكتشافه كان يجمع ويحرر ويترجم بعناية لتهيئة أساس على اكبر قدر ممكن من الدقة والمصداقية لرسالتهم الإنسانية التي عبرت عن شرف الإنسان وكرامته من بدايتها مع بترارك[٤٦].

ثم أتى ايراسموس (١٤٩٦-١٥٣٦) الذي عد شخصية أساسية في إنسانية عصر النهضة بوصفة ناقدا للكنيسة والأعراف المجالية، كما كان نشطا ومحررا لإعمال إباء الكنيسة المبكرين، و فوق ذلك كله النصوص اليونانية للعهد الجديد إذ شكل تحريره على الرغم من قصوره في مناح كثيرة نقلة نوعية في كتاباته التي تعد هجاء لاذعا لمجتمع كنسي وعلماني في إن واحد[٤٧].

---

[٤٥] جورج اهرنبرغ،المجتمع المدني،ترجمة:(علي حاكم صالح و حسن ناظم)،المنظمة العربية للترجمة،بيروت، ٢٠٠٨ ، ص ص ١٠٩،١١٠.

[٤٦] ريتشارد تارناس،الآم العقل الغربي، ترجمة:(فاضل جكتر)، لامط، أبو ظبي ،٢٠١٠، ص ص ٢٥٠،٢٥٣،٢٦٨.

[٤٧] تد هوندرتش ، دليل أكسفورد للفلسفة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣.

وهكذا تعددت الإعمال والأفكار المشكلة للنزعة الإنسانية في عصر النهضة وبدأت حاله من التحول الجديدة في النظرة الجديدة إلى الإنسان إلى التصورات التالية[٤٨]:

١. يشكل الإنسان غاية إنسانية متفردة بذاتها ،فالإنسان يجب إن يكون في هذا التصور في مركز الوجود والعالم لان الله سبحانه وتعالى منح الإنسان هذا الطابع الغائي.
٢. يتميز الإنسان بتفوقه النوعي إذ يتميز بقدرته على الإبداع وامتلاكه على العقل والذكاء وهو فوق ذلك كله يدرك مدى تفوقه على مختلف الكائنات الحية .
٣. الإنسان سيد مصيره ومهندس وجودة وهو يمتلك القدرة على إن يحدد الغاية التي يسعى إليها في معركة الوجود، والإنسان ليس محكوما بقدر نهائي وحتمية مصيرية تفرضها قوى عليا، لان الله سبحانه وتعالى حمل الإنسان مسؤولية الاختيار وتحديد المصير.

لقد تغير مفهوم الإنسان والرؤية التي كان يخضع لها في العصر الوسيط فالإنسان وفقا لهذا التصور لا يخضع لأية حتمية اجتماعية أو سياسية أو كنسية مهما كان نوعها، وإذا كان هناك من خضوع فهو يخضع لحتمية الحرية وقدر الذكاء الإنساني الذي يتفرد به الإنسان عن بقية الكائنات الحية في مملكة الطبيعة الإنسانية[٤٩]. وهكذا أدت الإنسانية دورا بارزا في الفكر السياسي لعصر النهضة من خلال محاولتها مقاومة الاكليروس وسياستهم، وخلق طرق جديدة للتعامل مع الإفراد على وفق معايير أكثر تسامحا وهذه المعايير كانت معايير إنسانية بالدرجة الأولى، من خلال تعبيرها عن ثورة اجتماعية حاولت تغيير طرق التفكير التقليدي الذي عاشته أوربا لقرون من خلال محاولتها إخراج الفكر عن طرق التفكير الكلاسيكية، وعبر عنه من خلال وقوف فلاسفة النهضة ضد التقليد المدرسي الذي كان متبع آنذاك[٥٠]، إذ اشتملت الإنسانية

---

[٤٨] علي اسعد وطفه ، النزعة الإنسانية في التربية ، مصدر سبق ذكره.

[٤٩] المصدر نفسه .

[٥٠] إمام عبد الفتاح إمام ، الطاغية : دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٤، ص٢٢٥.

على التسامح بمعناه العام الذي عبر عن جوهر حقوق الإنسان[٥١] ، والتسامح روح الإنسانية وهو الأساس الذي عبر عنه عصر النهضة من خلال الفلسفات التي حاولت جاهدة إن تجعل منه مبدأ أسمى حاولوا من خلاله إن يغيروا الواقع المر الذي عاشته أوربا تحت سطوه محاكم التفتيش والحروب الدينية وثقافة العنف التي لم تنل منها أوربا سوى شيئين: دمار الإنسان والأوطان معا .

المطلب الثاني : النزعة الإنسانية في الفكر السياسي لعصر التنوير

يعد عصر التنوير* من المراحل المهمة التي مر بها الفكر السياسي الغربي الحديث فهو عصر له دور في الفكر السياسي الغربي الحديث وله اثر في المعاصر منه، وهو عصر تمكن فلاسفته من إنتاج نظريات وفلسفات تركت أثرا في الحياة الفكرية الغربية .والتنوير من المصطلحات العلمانية الغربية[٥٢]الأوربية الأصل والنشأة وهو مصطلح له فلسفته الخاصة ودلالته الواضحة والمؤثرة في عالم الأفكار ، إما عصر التنوير فهو احد العصور المهمة التي مر بها تاريخ الأفكار في أوربا وعبر عن بداية لفلسفات وضعية كان لها اثر بارز في الفكر السياسي الغربي والمعاصر .

لقد جاءت معاهدة ويستفاليا (١٦٤٨) لتقدم حرية المعتقد في أوربا ، وحرية المعتقد عنت حرية التفكير التي تمثلت بإنسانية عصر التنوير التي حاولت إن تخرج المجتمع من هيمنة الكنيسة لا بل إن تحاربها بطرحها مبادئ تحرض من خلالها على تقويض سلطة الكنيسة .العدالة والحرية كانا أهم مطلبين لأعظم العقول الاجتماعية التي أظهرت الناس على أفكارها ، وهما المطلبان اللذان نادت بهما إنسانية عصر التنوير، فهو عصر كباقي العصور عُد فيه موضوع العقل والدين من بين الموضوعات التي شغلت العقل الإنساني لمجتمعات ذلك العصر، وهذا ما ميز التنوير بوصفة عصرا امتاز

---

[٥١] بيتر كونزمان وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٣.

* مصطلح التنوير: هو مصطلح يعبر عن عملية متواصلة من تشغيل العقل وترشيد الفكر وإحلال المنطق محل الخرافات ، والمتنور مستنير وهي صفه كانت تطلق غالبا على فلاسفة الأنوار الذين انكبوا على محاربة الجهل والشعوذة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ينظر : جميل صليبيا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥١٠.

[٥٢] محمد السيد الجليند، فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٢.

فلاسفته بالتمرد الذهني* *، إذ رحب مفكروا التنوير بالتغيير، ورأوا في الانتقال وسرعة الزوال شرطا ضروريا لانجاز التحديث المنشود وهذا مما أسهم في تكاثر مذاهب المساواة والحرية والإيمان بالذكاء البشري وهي مذاهب إنسانية بامتياز[٥٣].

برزت في القرن السابع عشر ميزتان أساسيتان لعصر التنوير فالميزة الأولى تمثلت بظهور المنهج التجريبي الذي كانت بدايته وإرساء خطواته مع (فرانس بيكون) بنقده للمنطق الأرسطي الذي كان منهجا للتعليم الكنسي، إما الميزة الثانية فهي بروز الدعوة إلى العقلانية وتأسيس المنهج العقلي الذي ظهرت معالمه مع (رينيه ديكارت)، الذي يعده الكثير من المؤرخين فارس العقلانية ،فقد كان هدفه نقل المعرفة وموضوعاتها من الكونيات الإلهية إلى الفيزياء ، ومن نظام العلل الأولى إلى أنظمة الميكانيكا والتخلي عن النظر بعين الله إلى العالم. إذ أصبح الكثير من المفكرين يؤمنون بإمكانيات العقل الكلية، وان هذا العقل يستطيع إن يبلغ الحقيقة ويصبح معيارا للحياة الإنسانية[٥٤].

من اكبر القيم التي تبلور في إطارها مفهوم النزعة الإنسانية في عصر التنوير، هي قيمة (النقد) وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الكبير (كانط) حينما قال: ((عصرنا هو العصر الحقيقي للنقد الذي يجب إن يخضع له كل شيء ...))، وهكذا أصبح النقد أسلوبا رئيسا في النظر إلى الأشياء والأفكار ، وبهذا أصبح التفكير يفهم من منظور التنوير على انه حقل متميز لممارسة النقد العقلاني يمتلك فيه القدرة على مناهضة الأنساق التجريدية الصورية ، ثم نقد الأسلوب الذي كانت تتحدد به العلاقة بين العقل / الدين [٥٥]، ولهذا أصبح العقل هو المصدر الذي تستمد منه الحقيقة بدل الدين، وأعيد الاعتبار للعقل ليصبح القرن الثامن عشر بمثابة بناء جديد للحقيقة ، واعتبار كل من العقل والتجربة الشرطان الأساسيان لإنشاء المعرفة، لينحو العقل منحا نقديا معارضا

---

* * التمرد الذهني:هو ذلك التمرد الذي كان سمه مميزه لصراع العقل النقدي للقرن الثامن عشر مع اللاهوت . ينظر:اميل برهييه،تاريخ الفلسفة،ترجمة:(جورج طرابيشي)،ج٨،ط،دار الطليعة،بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٧٥.

[٥٣] ديفيد هارفي ، حالة ما بعد الحداثة :بحث في أصول التغيير الثقافي ، ترجمة:(محمد شيا)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٠.

[٥٤] فؤاد زكريا وآخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار العلم ، بيروت ، د.ت ، ص ١٤٧.

[٥٥] مصطفى حنفي ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٩.

للروح الوثوقية التي يعتنقها الجمهور وعامة الناس، وبذلك يصبح العقل هو الحكم الوحيد فيما يخص القضايا التي تعرف بالحدس المباشر أو القضايا البديهة، وهكذا أصبحت عقلانية القرن الثامن عشر عقلانية تجريبية ذات بناء امبريقي، وليست عقلانية ميتافيزيقية، إذ أصبح التحليل والتركيب الوجهة التي يحدد العقل موقفه من خلالها كنشاط وكفاعلية[٥٦].

عند الحديث عن عصر التنوير لا يمكن تجاوز فولتير بوصفه فيلسوفا اتسم بحسه الإنساني المرهف وفلسفته العقلانية ومقاومته للكنيسة وسياساتها وإدانته لجرائمها ومنها مجزرة بارتليمي[٥٧]، التي راح ضحيتها الكثير من البروتستانت نتيجة للتعصب الديني، إذ عُد فولتير رسول التسامح الديني في عصر التنوير، اتهم فولتير الكنيسة بأنها تدعي التحدث باسم المسيح في حين إن المبادئ التي تفرضها على تابعيها تختلف اختلافا عميقا عن المبادئ الموجودة في الإنجيل، من هنا انطلق في القول: (لقد كرهت الكهنة، وإنا ابغضهم، وسأظل ابغضهم إلى يوم الحساب)[٥٨]، هذه هي سياسة فولتير، إذ لا يوجد احد من معاصريه، أمثال روسو ومونتسكيو وديدرو، قدم برنامجا إصلاحيا مفصلا مثلما فعل فولتير وناضل من اجل تحقيقه، فقد كرس فولتير حياته للدفاع عن ضحايا رجال الدين والسياسة، وهو أيضا من المدافعين عن الحريات المدنية، ورجلا إصلاحيا يقترح للمشكلات اليومية حلولها لان السياسة عنده واجب يومي[٥٩].

في عصر التنوير اختلف الحكم دينيا وبأبعاد إنسانية على الهرطقة من خلال عد (إن الوثنية خطيئة...، لكن لا يلزم من كونها خطيئة إن يكون العقاب من مهمة الحاكم، لأنه ليس مهمته استعمال السيف لإنزال العقاب على المسائل التي يعتقد حياديا، أنها

---

[٥٦] المصدر نفسه ، ص٤٣.

[٥٧] فولتير ، رسالة في التسامح ، ترجمة :(هنرييت عبودي)، دار البترا ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ٥١.

[٥٨] ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة :(محمد علي أبو درة) ، م٩ ،الجزء الأخير ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ص ٢٠٤،٢٠٥.

[٥٩] عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٤٩،٦٥٠.

خطيئة ضد الله)[٦٠] ، وهكذا أسهمت الإنسانية من التخفيف أو إضعاف حجج الاكليروس في قتل الخارجين عن المنظومة الفكرية التي يهيمنون عليها فأصبح المعيار الفكري ليس معيارا دينيا مقدسا وإنما أصبح معيارا فكريا فلسفيا نسبيا وضعيا غير مقدس وغير ديني وقابلا للتنوع والاختلاف.

كما حاولت الإنسانية التنويرية إن تحيط بتنوع الحاجات الفردية ومن ثم ترفض كل مطلق ميتافيزيقي وتسوغ من جهة ثانية وجود عدد من الميتافيزيقا مساو لعدد الأمزجة[٦١]. وهذا ما أسهم في الاعتراف بالأخر ، وإقرار التنوع والاختلاف في هذا العصر نبع من تحولات ذهنية عميقة نتيجة النهضة إي نتيجة التغييرات التي طرأت على تصور للعلم على الصعيد الابستمولوجي، وللسياسة على الصعيد العلمي، وللتاريخ على الصعيد الذاتي، وللإنسان على الصعيد الإنساني، فعبرت إنسانية عصر التنوير عن التسامح الذي لا يعبر عن هدف سياسي ولا عن غاية ميكيافلية المضمون بل هو مبدأ عبر عن إنسانية الإنسان وهو نضال ضد اللا مقبول بجميع اتجاهاته[٦٢]، وهو مبدأ حاول عصر التنوير فلسفيا التعبير عنه . وانتقالا إلى الثورة الفرنسية التي عُدت تحديدا لبداية مرحلة جديدة للتنوير العملي لاحقة على مرحلة التنوير النظري برزت نزعة معاداة العبودية، وابتدأت المطالبة بإلغاء تجارة العبيد تنتشر عالميا مع انتشار أفكار هذه الثورة[٦٣]، وهذا ما أشار إلى توسع الإنسانية وانتشارها كونيا بوصفها منظومة فكرية استطاعت بناء قاعدة متينة تجعل من الكيان البشري له القيمة العليا التي تسمو على كل ما حولها ، وذلك أسهم في إعلان حقوق الإنسان الذي عُد إيذانا بنهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة تؤسس ذاتها على أفكار ذات بعد كوني عام.

وهكذا يمكن القول بان مشروع النزعة الإنسانية في عصر التنوير كان متقدما كثيرا قياسا بعصر النهضة، فهو ليس أحياءا لثقافات وحضارات قديمة بل هو مشروع إصلاح الإنسان دون الرجوع إلى مبادئ وقيم الدين، وإنما باللجوء إلى العقل والعلم والى

---

[٦٠] جون لوك، رسالة في التسامح ، ترجمة:(منى أبو سنة) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص٤٧.

[٦١] اندريه لالاند ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦٧.

[٦٢] فتحي التريكي ورشيده التريكي، فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ص ٣٦،٧١.

[٦٣] عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٨٦.

القوى الاجتماعية التي ظهرت في عصر النهضة ولها ميول مناهضة لهيمنة القوى الدينية وسلطتها على حياة ووعي الإنسان[٦٤].

مع عصر التنوير أخذت ملامح النزعة الإنسانية تتغير إذ أصبح أكثر واقعية وعقلانية وذو توجه لا ديني، يرفض أولا قبول الأشياء بالاعتماد على الإيمان، كما يدعو ثانيا إلى الأخذ بطبيعية الأمور كنقيض للخوارق والقوى الخارجة عن الطبيعة، ويتمسك ثالثا بالعلم وما ينشأ عنه : من شك معرفي وعقلاني، ويدافع رابعا عن فكرة المنفعة المطلقة: فكرة الحرية وإصلاح الحال كحق مطلق للجميع ، ويركز خامسا على ضرورة المثل الأخلاقية دون الحاجة إلى وازع الهي ديني ، ويؤمن سادسا بقدسية حرية البحث والتحري المستقل لإثبات الحقائق والنتائج[٦٥]، وأخيرا تؤكد هذه النزعة على أهمية النظام الديمقراطي وحرية الاختيار والمعتقد . فالإنسان في عرف هذه النزعة هو الذي (يضع قوانينه الأخلاقية والسلوكية ويفرض طاعتها على نفسه وبالتالي ليس هناك قوة خارجية تملي عليه مثل هذه القوانين)، وبهذا الطرح العقلاني والواقعي أعطت هذه النزعة للعلم والعقل والمنطق الحجة في رفض إي تبريرات ميتافيزيقية، فمهدت الطريق ولأول مرة لمبدأ فصل الدين عن السياسة[٦٦].

المبحث الرابع: الطروحات الفكرية للنزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر

إن أهم وأعظم حدث فتح أوسع النقاشات النقدية حول النزعة الإنسانية في ساحة الفكر الأوربي هو حدث الحربين العالميتين الأولى والثانية ، فالحرب العالمية الأولى مثلت حدثا مدويا كان له وقع الصدمة الشديدة وقد ظهرت أوربا في هذه الحرب وكأنها أصيبت بالجنون وأخذت تدمر نفسها بنفسها، وتحطم بيدها وإمام بصرها وبصر العالم من حولها كل ما أنجزته وحققته من تنمية وعمران امتدت لأربعة قرون متتالية، شهدت فيها أوربا أفضل عصور ازدهارها وهذه هي المفارقة، فهذه الحرب المدمرة حصلت بعد

---

[٦٤] محي عيدان، المذهب الإنساني أو الانسانوية :الطريق إلى العلمانية، ٢٠١٦/٢/٢٦: www.alithad.com

[٦٥] المصدر نفسه.

[٦٦] المصدر نفسه.

عصور الازدهار في أوربا، انتقلت فيها من عصر النهضة والإصلاح الديني في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى عصر التنوير في القرن الثامن عشر، ومن ثم إلى عصر الحداثة في القرن التاسع عشر، وفي عصر الحداثة التي مثلت قمة الازدهار حصلت هذه الحرب وكأن الحداثة جلبت لعنه على أوربا وبدل من إن تحمي هذه الحرب أوربا من إي حرب أخرى وتجعل من الحرب فكرة منبوذة وخيارا لا يمكن التفكير فيه أو الاقتراب منه والتعامل معه وإذ بهذه الحرب وبعد عقدين من الزمن تولد حربا ثانية تكون اشد تدميرا من الحرب الأولى[٦٧]، إمام هاتين الحربين اللتين كادتا إن تنهي أوربا من الوجود وجلبت لها من الكوارث والفتك والدمار الشيء الكثير، إمام كل ذلك طرحت تساؤلات كثيرة إزاء النزعة الإنسانية وفي مقدمة هذه التساؤلات: أين ذهبت النزعة الإنسانية وكيف غابت واختفت ؟ ولماذا لم تستطع إن تحمي أوربا من هذه الحروب ، أين ذهبت هذه النزعة ؟ كيف تقلصت وتراجعت وحلت محلها فكرة الحرب؟ وفي خضم الإجابة على هذه التساؤلات ظهر عدد من المفكرين البارزين وفي مقدمتهم مارتن هايدغر(١٩٧٦-١٨٨٩)، الذي تسائل اعتراضا واحتجاجا: ما إذا بقي للإنسانية إي معنى ؟[٦٨]

إن مشكلة النزعة الإنسانية عند هايدغر ترجع في جوهرها إلى طريقة تعريف الإنسان، وحسب رأيه إن كافة أنواع التعاريف الانسانوية قديمها وحديثها تنطلق من الجوهرية الأرسطية في تعريف الإنسان بوصفة حيوانا عقلانيا، فالانسانوية تنسى عقلانية الإنسان وتركز على حيوانيته، هذه النظرة هي التي تجعل الإنسان جزء من الطبيعة لا أكثر ، شأنه في ذلك شأن أشياء الطبيعة الأخرى، وبشكل يقرب جوهر الإنسان من أجهزة الآلة والتقنية الحديثة ، وهي الصورة التي سادت العلم الوضعي ، ومثل هذه الصورة تختزل الإنسان في شيئية الجهاز النفعي فهو إما عامل أو منتج أو مستهلك،

---

[٦٧] ينظر:روجيه غارودي،البنيوية: فلسفة موت الانسان، ترجمة : (جورج طرابيشي)،دار الطليعة، بيروت،١٩٦٩، ص١٤.

[٦٨] المصدر نفسه،الصفحه نفسها.

الاختزال الذي يستبعد القيم والأخلاق ويصبح السؤال عن معنى الانسانوية خاضع لعدمية المجتمع التقني[٦٩].

ويعرف هايدغر النزعة الإنسانية بقوله: النزعة الإنسانية هي ذلك التأويل الفلسفي للإنسان الذي يفسر ويقيم كليه الموجود انطلاقا من الإنسان وفي اتجاه الإنسان، ويرى إن سبب ضعف الفلسفة هو الاهتمام بالإنسان والميتافيزيقيا وبالتالي فأن هايدغر يجعل من النزعة الإنسانية جزء من الميتافيزيقيا، إذ عبر عن ذلك بالقول: إن عمر الإنسان الحديث لا يكاد إن يتجاوز ثلاثة قرون ويقصد إن الميلاد الفلسفي للإنسان بعدّه ذاتا، يتزامن مع ذلك الحدث الفكري الذي ارتقى بالإنسان من مجرد كائن – من جملة كائنات– إلى ذات وسط الموجودات والموضوعات وجعل منه مقياسا لكل شيء وصانعا للمعايير والقيم، لقد أصبح الإنسان ذاتا مفكره وواعية عندما صار يمنح الوجود للأشياء من خلال تفكيره وتمثيله له[٧٠]. وقد وجه هايدغر نقده للنزعة الإنسانية في دراسة له حملت عنوان (رسالة في النزعة الإنسانية) منطلقا من محاولة التأكيد على ضرورة التمييز بين إشكال النزعة الإنسانية على ضوء ما يلاحظ من اختلاف وتعدد في التصورات عن الإنسان، فإذا كان المعنى المقصود بالنزعة الإنسانية ذلك المجهود الذي يعمل على تحرير الإنسان، ويمكنه من استرداد كرامته وماهيته ألحقه، فمن المعقول إن تختلف النزعات الإنسانية بقد ما يوجد هناك من تصورات عن حرية الإنسان وعن ماهيته، لكن هايدغر انتهى في أخر تحليله النقدي لتصنيف جميع التصورات العامة عن ماهية الإنسان إلى صنفين: صنف تاريخي وصنف نظري، فالنزعة الإنسانية التاريخية مؤسسة على مشروع العودة إلى الماضي وإحياء التراث الإنساني اليوناني والروماني القديم، كنموذج لأصالة الإنسان الغربي، وبالتالي يمكن الاقتداء به، بينما نجد النزعة الإنسانية النظرية فأنها تعرض عن الماضي، وتنقد الحاضر بهدف التطلع إلى المستقبل امله (إن تحقق فيه ماهية الإنسان بعدها مشروعا غير تام أو جاهز ،مشروعا لايتوقف عن التحقق بفضل نضال الإنسان)[٧١].

---

[٦٩] زكي الميلاد،نقد النزعة الإنسانية في المجال الغربي..النمط الثالث،٢٠١٤/٩/٢٧: www.okaz.com

[٧٠] عبد الرزاق الدواي،مصدر سبق ذكره،ص ٤٣.

[٧١] المصدر نفسه، ص١٩١.

ويعود الفضل لهايدغر في جعل المذهب الإنساني مجرد نزعة ثقافية تخفي التمركز على الذات والرغبة في التسيد على الكون وفي التمييز ألاختلافي بين الوجود والموجودات والربط البدائي بين الوجود والإنسان وفي طرحه للسؤال عن الإنسان لابصيغة الماهية والجوهر بل بصيغة التاريخ الإنساني والحضور في العالم وطبيعة الوجود الاجتماعي وحتى عندما تسائل : كيف يمكننا إن نعطي من جديد معنى لكلمة (النزعة الإنسانية) ؟ فأنه أجاب بالقول: (التفكير في حقيقة الوجود هو في نفس الوقت التفكير فيما هو إنساني في الإنسان)[٧٢].

وهكذا عُدت طروحات هايدغر حول النزعة الإنسانية ابرز عمل فلسفي يُستأنف في التقليد الألماني نقد الإشكالية الفلسفية للإنسانية وقد أسس ذلك من خلال دعوته إلى تجاوز وتقويض الإشكالية الفلسفية للذاتية الغربية وتفكيك جميع التصورات الميتافيزيقية التي حفل بها تاريخ الفكر الغربي حول الإنسان والوجود وذلك منذ كتابه (الكينونة والزمان) في العام١٩٢٧، وهذا التأسيس تكرس بوضوح أكثر في دراسته التي حملت عنوان (رسالة في النزعة الإنسانية) في العام ١٩٤٦، إذ دعى إلى المواجهة المعلنة للنزعة الإنسانية بعدّها نزعة ميتافيزيقية ،وهذه الطروحات وجدت لها صدى في التقليد البنيوي الفرنسي(لاكان، شتراوس، وفوكو)،الذي كان واقعا تحت تأثير الفلسفة النيتشوية ليأخذ معها نقد النزعة الإنسانية طابعا راديكاليا عميقا موسعا طال أهم المفاهيم الأساسية للإنسانية (الذات،العقل،التاريخ...الخ)[٧٣].وقد بلغ العداء لكل ماهو إنساني درجة الغلو والتطرف بات معه الحديث عن دور الإنسان في التاريخ والتقدم مجرد اجترار لخرافة ميتافيزيقية منحدره من القرن التاسع عشر ...وفي سياق هذا التصعيد العدائي للنزعة الإنسانية برزت محاولة التوسير لاعادة قراءة الماركسية في خطوط التماس مع الفلسفة البنيوية المناهضة للانسانوية، وهكذا تم تقسيم المبحث إلى أربعة مطالب اساسية هي:

---

[٧٢] زهير الخويلدي ، نهاية الانسانوية ومولد انسانية الاخر،٢٠٠٠/٩/٣٠: www.aneasse.org

[٧٣] روجيه غارودي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

المطلب الأول:النزعة الإنسانية عند جاك لاكان(١٩٨١-١٩٠٩): يمكن القول إن لاكان هو نتاج الثقافة المتشظية التي بشر بها فرويد ولكنه وسع المفهوم الفرويدي عن الذات المقسمة لتتحول الذات إلى تشظيات دقيقة غير مسبوقة الثقافات الإنسانية ، ركز لاكان على نشوء الإحساس بالذات ووظيفة الأنا،وذلك بعد إن نشر عددا من الدراسات حول حالات أدركها بوصفه محللا نفسيا ،أطلق لاكان على هذا النشوء اسم(مرحلة المرآة) بوصفها إحدى المراحل على سلم تطور إدراك الطفل لنفسه خلال العامين الأولين من حياته وافترض فيها إن إدراك الطفل لذاته يتشكل إثناء دخوله عالم اللغة والرموز، وتبعا لذلك فلابد إن يكون هذا الإدراك مرتبط بالإحالة أو الإشارة إلى أخر، وهذا الأخر قد يكون صورة طفل في المرآة أو قد يكون الأم أو إي شيء أخر متعلق بالطفل من خلال الإلية الفرويدية المتعلقة بالهوية النرجسية[٧٤] .

كان تناول لاكان لمرحلة المراَه احد أهم أسباب تسليم مابعد الحداثة بان الإنسان محض وهم أو خيال، ذلك إن صورة المراَه هي النموذج الأول والأساس لموقف الطفل المستقبلي بالنسبة للصور،واللغات، والكائنات وقد كانت هذه الصور بالنسبه للاكان كذبه كبيره لأنها تثبت صوره شيء لاوجود له على الإطلاق أنها صورة تناغم واستمرارية دوافع الطفل التي تتغيير بأستمرار وصورة المراَه ليست إلا محاكاة زائفة لهوية الطفل[٧٥].

وهكذا فعندما يقارب التحليل النفسي الذات البشرية فأنه يعلن تبعية البعد الواعي للنوابض اللاواعية وتأثر الشخصية الإنسانية بالماضي الطفولي وتفكك البناء الداخلي للإنسان وعجز الأنا عن السيطرة عن أفعالة وأقواله وأفكاره ونهاية مقولات الحرية والإرادة والحقيقة والمسؤولية ، هذا التصور الخاص والذي نجده عند لاكان ويؤدي إلى إلغاء الكائن الإنساني وذوبانة ، حيث يجعله خاضعا لاكراهات الهُوّ ومحكوما بالمحددات اللغوية المترسبة في بنية اللاوعي ، إننا نكتشف مع لاكان هبوط الخطاب الفلسفي إلى ما وراء الوعي ، وصعود الخطاب العلمي والمقاربة الموضوعية حيث

---

[٧٤] ينظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الادب والنظرية البنيوية، ترجمة:(ثائر ديب)، ط٢، دار فرقد، دمشق، ٢٠٠٨، ص ص ١٤٧-١٤٨.

[٧٥] أماني ابو رحمة، الإنسان في ما بعد الحداثة، ٢٠١٣/٣/٢٢: http://ar-ar.facbook.com

الغوص في اللاوعي البشري يكشف عن مجموعة من العقد والمكبوتات تمثل سلطة رقابه تمنع النمو الطبيعي للشخصية وحجته على ذلك ان الذات على عكس ما كان يتصور كانت ليست إذن هي مركز المعرفة بما أنها تدور هي نفسها حول القسم اللاوعي الذي يسكنها[٧٦].

المطلب الثاني:النزعة الانسانية عند ليفي شتراوس(١٩٧٣-١٨٩٩): ليس الإنسان عند شتراوس سيد الطبيعة ومالكها كما ادعى ذلك ديكارت ، بل هو عنصر في هذا البناء العظيم ولا يستقل بنفسه ولا يكتمل إلا بأشياء خارجه عنه، فالإرادة البشرية قاصرة ومحدودة، ومن ثم فلا يمكن إن يتسامى الناس إلا إذا تطلعوا إلى مثل أعلى وحلقوا بأبصارهم في أجواء عالية، إما حين يتوهم الإنسان انه أصبح مركزا للكون وسيده المطلق، فليس من الغريب أيضا إن يسعى إلى تحويل قيم العالم وترتيبه على مقياسه، وليس من الغريب أيضا إن يدعي القدرة على قيادة البشرية تارة بأسم البيولوجيا، وطورا باسم التكنولوجيا الحيوية، وأخرى بأسم نظام ليبرالي مرتكز على السوق وعلى حقائق لا غبار عليها تنتمي إلى الطبيعة وقد صارت هي الإله، من الواضح إن شتراوس كان يستهدف من خلال هذين البعدين الرد على دعاة الديانات الجديدة ، والدوغمائيين من ذوي النزعة العلموية المتطرفة التي اختزلت الإنسان في بُعده المادي، كان شتراوس يسبح ضد التيار هو يُعلي من شأن القيم الخلقية في عصر اله العقل واتخذ العلم دينه الجديد الكفيل بتجاوز أزمات العصر[٧٧]. وتظهر النزعة الإنسانية لدى شتراوس في قوله :(إن للعقل الإنساني وظيفة رمزية وانه يتسم بالقدرة على توليد دوال أكثر من عالم المدلولات ، إذ إن الإنسان يجد إن العالم ليس مفعما بما فيه الكفاية بالمعنى ، وان العقل يحوي من المعاني يفوق ما يوجد في الواقع من أشياء)[٧٨]، بعبارة أخرى إن شتراوس يتحدث عن أسبقية الإنسان عن الطبيعة وانه ذهب إلى مشكلة الإنسان الحديث هي انه قد قمع هذا الاتجاه في العقل الإنساني نحو توليد الرموز والإشارات .

---

[٧٦] علي حرب، لعبة المعنى: فصول في نقد الانسان، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ١٩٩١، ص ٣٥.

(77) www.alnoor.se.com,30/11/2016

[٧٨] ليفي شتراوس: رائد للانثروبولوجيا البنيوية، ٢٠١٦/١٠/١٦: www.altpresse.com

نستنتج من مما تقدم ان الانسان هو كائن مدفوع بشكل طبيعي نحو الثقافة ، ولكن هذه الاخيرة تبدو غير قادرة على تمكينه من نحت صورة جميلة لنفسه لاسيما وانها مرتبطة بالقمع والكبت واستغلال الغرائز.

المطلب الثالث:النزعة الإنسانية عند ميشيل فوكو(١٩٨٤-١٩٢٦): يعد الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو واحدا من اكبر الفلاسفة حضورا وأبدعا وشهره في الفلسفة الغربية إذ تأثر بكتابات كل من الفلاسفة (نيتشه،وهايدغر،وليفي شتراوس) في صياغة فلسفته ورؤيته الفكرية القائمة على تجاوز الخطاب الإنساني أو النزعة الإنسانية من خلال العمل على تقويضها، إذ رأى فوكو إن النزعة الإنسانية لم تخلق لدى الإنسان سوى الأوهام والأساطير معتبرا إن الإنسان ماهو إلا مجرد انعطاف في معرفتنا ،وهو اختراع حديث يرجع إلى مائتي سنة[٧٩]. وهي هنا إي فلسفة فوكو تقف بالتضاد المباشر مع الفلسفة الغربية القائمة على الحداثة والنزعة الإنسانية والفكر الجدلي التطوري الذي يأخذ بنظر الاعتبار التاريخ والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تطور المجتمعات ،ومن ثم ولادة الأطر المفاهيمية وجميع القيم التي تدخل في مجالات المعرفة البشرية، إذ اعتمد فوكو على النزعة التحليلية المعاصرة التي سادت أوربا في الخمسينات من القرن العشرين حيث النزعة العلمية والصارمة التي تملكها[٨٠]، وبذلك شكل فوكو نزعة جديدة مغايرة عن سابقتها تلغي كل المفاهيم التي جاءت بها الحداثة والمتمثلة بالاهتمام بالذات والحقيقة والعلم والعقل والمعرفة والإرادة الإنسانية، وهو بذلك يعلن موت ذلك الإنسان، ففوكو رأى بان الإنسان ليس سوى عبارة عن شيء داخل نظام الأشياء، وولادته ليست بالمفهوم البيولوجي للكلمة بل ولادته في ذهنيته[٨١]، ولادته ضمن مدارات بحثه ومعارفه ليكتشف ذاته من خلال نظام الأشياء، إذ يبحث عن نفسه في قانونها الخاص، وبالتالي فلا يمكن التعرف عليه إلا من خلال إنتاجه أو من خلال كلماته أو الأشياء التي ينتجها[٨٢]، وبالتالي فأن إعلان موت

---

[٧٩] ميشيل فوكو،الكلمات والاشياء، ترجمة:(مطاع صفدي واخرون)،مركز الانماء القومي، بيروت،١٩٨٩، ص٢٦ .

[٨٠] عبد الرزاق الدواي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.

[٨١] المصدر نفسه، ص ١٣٢.

[٨٢] فادي عاصله، موت الإنسان في فلسفة ميشيل فوكو، ٢٠١١/٦/١٤: www.fadyasleh.pplogspot.com

الإنسان من قبل فوكو ليس موتا بيولوجيا ولا هو انتهاء بمحض إرادة الطبيعة ولكنه موت في إطاره المعرفي المتشكل عبر الآليات المبتكرة للبحث الاركيولوجي المبني عليها الأساس النظري لمشروع فوكو الفلسفي ، فالمعرفة ستتجاوزه نحو قضايا أخرى ونحو إشكاليات يفرضها عليها (سياق) أخر، وبالتالي فما استخلصه فوكو:(إن العلوم الإنسانية تطابق لحظة معينه من تاريخ معرفتنا، ومن الممكن جدا إن يُمحى الإنسان كموضع للمعرفة كما يمحو الماء صورة مرسومة على رمل شاطئ البحر)[٨٣].

إن إلغاء النزعة الإنسانية يعد تجريدا جديدا لفكر قائم على اللامبالاة تجاه الإنسان وما يحدث له ومن ثم جعل الاهتمام ينصب فقط على الشكل أو الرمز أو المفهوم لا غير ، وبذلك يمكن القول إن هذا الخطاب وليد الاختناقات الإيديولوجية التي سادت أوربا في النصف الأول من القرن العشرين إذ جاءت كرد فعل تجاه الفلسفة الوجودية والتي تمثل النقيض منها تماما حيث تهتم الأولى بالكائن البشري وجودا وحياة وتجليا إنسانيا داخل العالم الذي يعيش فيه، وبين الفلسفة البنيوية التي تستند على الإيمان بالنظرة العلمية البحتة والتي يعرفها فوكو :(على أنها وعي المعرفة الحديثة المتيقظ والقلق)، ومن ثم يكون تعاملها مع الإنسان منعزلا عن ذاته وأحلامه ومشاعره..الخ،إذ أوجدت مفاهيم جديدة لا تشكل الثبات بل الحركة الدائمة والصيرورة السريعة وبذلك لم يعد الإنسان ما هو إلا بريق او طاف على السطح وهنا سطح النسق ذاته الذي يحمل بدوره جميع مراكز السلطة وتوزيعها ألقسري[٨٤].

المطلب الرابع:النزعة الإنسانية عند لويس التوسير(١٩٩٠-١٩١٨):إن الجدل الذي دار حول أزمة النزعة الإنسانية في الفكر الغربي والذي دشنته الهايدغرية وواصلته إعمال البنيوية الفرنسية طيلة سنوات الستينات والسبعينات ،كان له امتداد واضح في النقاشات التي دارت بين الماركسيين بخصوص الموقف النظري من الإشكالية الانسانوية في إعمال ماركس ،فقد أثار الجدل حول هذه الإشكالية نقاشات ومواجهات نظرية حادة تمخض عنها انقسام الماركسيين إلى اتجاهين تجاذبا حقل التأويل والتأويل

---

[٨٣] نقلاً: عن المصدر نفسه.

[٨٤] زهير الخويلدي، مصدر سبق ذكره.

المضاد لما يفترض إن يكون الموقف الأصلي للماركسية من النزعة الإنسانية ،فيما بلغ التعارض بينهما من العمق ما جعله يتعدى كونه مجرد خلاف فلسفي، وقد تحددت المشكلة في المنطلق في(العلاقات التي توجد داخل الفلسفة الماركسية بين محتواها الانسانوي وطابعها العلمي إي بين الأعمال الفلسفية الانسانوية لمرحلة الشباب والأعمال العلمية لمرحلة النضج)[٨٥].

الاتجاه الأول،هو السائد كان يعتبر الماركسية فلسفة انسانوية تروم التحقيق التدريجي للإنسان الكلي (الكائن الأعلى) عبر صيرورة التاريخ ، وقد استند هذا الاتجاه على الأعمال الفلسفية لمرحلة الشباب ،متجاهلا التحولات النظرية التي عرفها فكر ماركس متصورا هذا الأخير مكتملا في لحظة بدايته، ويعد روجية جارودي احد ابرز ممثلي هذا الاتجاه في الماركسية الفرنسية ،فقد كرس هذا الأخير كل جهوده الفلسفية للدفاع عن استمرارية الإشكالية الانسانوية في فكر ماركس معتبرا(مخطوطات ١٨٤٤) نقطة انطلاق فكر ماركس ومرحلة حاسمة في تكوين النظرية الماركسية[٨٦]. وفي المقابل برز إلى الواجهة اتجاه أخر بزعامة لويس التوسير مستندا إلى اطروحه فلسفية جذرية تقول: إن الماركسية تتحدد في المقام الأخير بوصفها علما يتعارض مع كل الرواسب الفلسفية للحظة الانسانوية التي هيمنت على فكر ماركس في مرحلة الشباب[٨٧].

عُرف التوسير بمحاولاته النظرية المتميزة الهادفة إلى إخضاع الماركسية لنسق المقاربة البنيوية ومن ثم تخليصها من طابعها الإيديولوجي التعميمي[٨٨]، إذ لم يتقبل التوسير النزعة الإنسانية في الماركسية ورأى فيها مفهوما إيديولوجيا تجاوزه ماركس في فتره نضجه النظري ،حينما حقق القطيعة المعرفية مع الفلسفة الإنسانية ومفاهيمها الإيديولوجية مثل:الإنسان والاغتراب واستبدالها بمفاهيم جديدة كالتكوين الاجتماعي

---

[٨٥] ينظر: روجيه غارودي، مصدر سبق ذكره، ص ص ٧٩-٩٤.

[٨٦] محمد وقيدي، العلوم الانسانية والايديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٢٠.

[٨٧] المصدر نفسه، ص ص ١٢٠-١٢١.

[٨٨] سماح نجم كاظم، الفكر السياسي للماركسية الغربية الجديدة، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد،٢٠١٦، ص ص ١٣٦-١٤٤.

والعلاقات الاجتماعية[٨٩] لقد اعتبر التوسير مفهوم (الماهية الإنسانية)مفهوما إيديولوجيا ينتمي الى الحقبة المثالية عند ماركس تخلى عنه بمجرد انخراطه في مسار علمي جديد[٩٠]. كما يرى التوسير إن من المفاهيم الخاطئة عند الماركسية اعتبارات ذات نزعة تاريخية فهي في مرحلته الثانية بطبيعة الحال نزعة مضادة للإنسان والتاريخ ، ويبرر التوسير ذلك بكون ماركس لم ينطلق من الذات او الفرد او الماهية أو الإنسان ،وإنما انطلق من نمط الإنتاج وعلاقاته أو من البنية الاجتماعية ،فالفرد هو حصيلة العلاقات الاجتماعية وليست الذات هي التي تصنع التاريخ بل الصراع الطبقي الذي يمثل شكلا من إشكال الصراع بين البنى والعلاقات الخارجة عن الإرادة الإنسانية الحرة،والتاريخ في أخر الأمر هو تفاعل بين قوى وهياكل ونظم بنيوية وليس نتاجا للفاعلية الإنسانية[٩١] . وتجدر الاشاره في هذا السياق، إن اجتهادات هذا الاتجاه بالرغم مما اعتراها من ظاهر الغلو، كان لها فضل كبير في إنعاش الروح الفلسفية للماركسية في زمن كانت فيه هذه الأخيرة مهددة بالموت النظري بسبب توقف الاجتهاد الفلسفي وهيمنة الجانب الإيديولوجي على نشاطها الثقافي من جهتها أسهمت إعمال التوسير الفلسفية في دفع النقاش حول النزعة الإنسانية إلى مداه الأقصى ،مرغمة الاتجاه الإنساني داخل الماركسية على المنازلة بكل ما يملك من أسلحة وثقل سياسي ايديولوجي ، وهي المنازلة التي دشنت ما يمكن إن نسميه بـ(حرب النصوص)، إذ ذهب كل اتجاه من الاتجاهين المتنافسين يخوض غمار تأويل نصوص ماركس ويعيد قراءتها بما يفي حاجته إلى الشرعية النظرية والبقاء داخل دائرة الانتساب الفلسفي للماركسية الأصلية (السائدة او المفترضة)، ويعد عمل التوسير المشهور (قراءه رأس المال) واحد من الشواهد التاريخية على حرب النصوص المشار إليها[٩٢].

---

[٨٩] محمد وقيدي، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢١-١٢٢.

[٩٠] سماح نجم كاظم، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

[٩١] عبد المجيد السخيري،في الخلفية السياسية للفلسفة: نقد النزعة الانسانية عند التوسير،٢٠١٣/٩/٢٢: www.ahewar.org,22/9/2013

[٩٢] ينظر: روجيه غارودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

الخاتمة

وفي ختام بحثنا الموسوم بـ (النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر) توصلنا إلى النتائج الآتية :

١. النزعة الإنسانية حركة فلسفية وأدبية، راجت في ايطاليا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وامتدت منها إلى بقية بلدان أوربا الغربية، وكانت من أهم عوامل إرساء العلم والثقافة المحدثين. والإنسانية هي كل دعوة موضعها الإنسان، تؤكد فيه كرامته وتجعله مقياس كل قيمه .

٢. طرحت النزعة الإنسانية عدة مبادئ من أبرزها:

– إعطاء صورة ايجابية للإنسان بعده أرقى الكائنات الحية.

–الاهتمام بمختلف العلوم والآداب والفنون.

– الأخذ بالأساليب الحديثة في التربية والتعليم.

–إحياء التراث القديم ولاسيما التراث اليوناني والروماني.

أسهمت مجموعة من العوامل في انتشار النزعة الإنسانية لعل أهمها ما يلي:

– الأهمية التجارية والمالية لايطاليا وبالتالي ظهور الطبقة البرجوازية التي عملت على تشجيع الحياة الثقافية والفنية .

– هجرة العلماء الأوربيين المسيحيين إلى ايطاليا بعد فتح القسطنطينية في العام ١٤٥٣ على يد الأتراك.

– اختراع المطبعة الحديثة من قبل الألماني يوحنا غوتنبرغ وبالتالي وفرة الكتب بأعداد كثيرة وبثمن مناسب ، مما ساعد على نشر المعرفة وتطوير التعليم .

٣. أدت الإنسانية دورا بارزا في الفكر السياسي لعصر النهضة من خلال محاولتها للخروج فكريا على الكنيسة ومقاومتها الاكليروس وسياستهم وخلق طرق جديدة للتعامل مع الإفراد على وفق معايير أكثر تسامحا، وهذه المعايير كانت معايير إنسانية بالدرجة الأولى من خلال تعبيرها عن ثورة اجتماعية حاولت تغيير طرق التفكير التقليدي الذي عاشته أوربا لقرون من خلال محاولتها إخراج الفكر عن طرق التفكير الكلاسيكية .

٤. كان لعصر التنوير دورا مهما وفاعلا في تشكيل الفكر السياسي الغربي الحديث من خلال فلسفتها ذات النزوع الإنساني الذي استطاع إن يحدد سلطة الكنيسة وان يُنظّر إلى سلطة تنبع من الشعب وتؤمن بالتعدد والتنوع وتؤمن بالفرد الإنسان (المواطن) الذي يُعد روح الأنظمة الديمقراطية والمعيار الذي تقاس ديمقراطية الدول من خلال احترامها لكيانه.

٥. شكل النقاش حول مشكلة النزعة الإنسانية أهم مكون من مكونات الحقل الفلسفي والفكري في القرن العشرين ،إذ دار الجدل حول أزمة النزعة الإنسانية في الفكر الغربي المعاصر على خلفية قيام حربين عالميتين الأولى والثانية ، إذ طرحت تساؤلات كثيرة إزاء النزعة الإنسانية وفي مقدمتها أين ذهبت النزعة الإنسانية؟وكيف غابت واختفت؟ولماذا لم تستطع إن تحمي أوربا من هذه الحروب ؟.هذا الجدل بدأه هايدغر وواصلته أعمال البنيوية الفرنسية طيلة سنوات الستينات والسبعينات كما كان له امتداد واضح في النقاشات التي دارت بين الماركسيين أنفسهم بخصوص الموقف النظري من الإشكالية الانسانوية في أعمال ماركس.

أكدت جميع الإعمال الفكرية لكل من هايدغر،التوسير،شتراوس،فوكو بان الفلسفة كانت تكذب على نفسها وتحيا على وهم عندما أمنت وخلال قرون عديدة بالإنسان كوعي وأراده ،وكذات خالقة للمعنى ومبدعة للدلالات ،إن إنسان الفلسفة على وشك الانقراض. بأختصار هي دعوة للتخلي عن نوعين من الأوهام ،هما النزعة الإنسانية ،والفكر التاريخي (الطابع التاريخي للتجربة البشرية)،ورفض جميع المشاريع والغايات التي يعطيها البشر لحياتهم لأنها مجرد تأويلات ميتافيزيقية للوجود.

الملخص

تعد مشكلة الإنسان المحور الأساس في الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، خاصة مع انفتاح جدل الحداثة وما بعد الحداثة، وما إثارته من إشكاليات حول الإنسان ابتدأت بالنزعة الإنسانية ثم ما جرته ورائها من أفكار وقضايا متعددة

انتهت بأطروحة موت الإنسان والسقوط في قبضة الصيرورة، إذ ازدهرت في فرنسا تيارات فكرية وفلسفية في الستينات من القرن الماضي هاجمت النزعة الإنسانية وبشكل لم يسبق له مثيل، إذ ازداد عدد تلك التيارات وعملت في حقول معرفية مختلفة وأخذت إشكال وألوان متعددة وكان القاسم المشترك بينها هو هيمنة روح التفكيك، أي تفكيك العقل والعقلانية والمبادئ والقيم والمعنى والدلالات والأهداف والغايات والتاريخ، بعبارة أخرى تفكيك الإنسان وعالمه الثقافي والدعوة إلى التخلي عن النزعة الإنسانية ككيان ميتافيزيقي وكأسطورة فلسفية لم تستطع الصمود إمام اكتشاف العلم.

Summary

Humanism in contemporary Western political thought

Assistant. Prof. Abeer suham Mahdi

The human problem of the foundation axis in modern and contemporary Western political thought, especially with the opening up of controversial modernism and postmodernism, and the raising of the problems on human began the humanitarian tendency What then dragged him behind the ideas and multiple issues ended the thesis of human death and the fall in the grip of the happening, since flourished in France intellectual and philosophical currents in the sixties of the last century, attacked the humanism and is unprecedented, as the number of those currents increased and worked in different fields of knowledge and took many forms and colors was the common denominator among them is the dominance of the spirit of disassembly, dismantling of reason and rationality, principles and values and meaning and connotations and objectives The goals and history, in other words, the dismantling of rights and cultural his world and the call to abandon humanism entity metaphysical and philosophical myth was unable to withstand the discovery of science.